روحانيّة وهويَّة الراهبات اللبنانيّات المارونيّات

مقدّمة

إن كانت التقوى هي التطبيق العملي للإيمان، فالروحانيّة تجسيد للاهوت واختبار حياتيّ للإيمان أكثر عمقًا من مظاهر التقوى. إنّ قراءتنا الشخصيّة هذه لا تعدو كونها محاولة متواضعة لاستشفاف بعض ملامح روحانيّة الراهبات اللبنانيّات المارونيَّات التي طالما لفّها الغموض والنسيان، وقلّ الكلام عليها، إلاّ بطريق العَرَض. نقطة انطلاقنا هي قوانيننا وفرائضنا الأخيرة، الصادرة عام ٢٠٠٤، وكتاب المصباح الرهباني للمطران عبدالله قراعلي، الذي يُعتبر المؤلَّف الفريد من نوعه في تاريخ الروحانيّة الرهبانيّة في الكنيسة المارونيّة. فانطلاقًا من هذه المصادر، واستنادًا إلى بعض المراجع الهامّة[١]، نسعى إلى تبيُّن ملامح روحانيّة وهويّة الراهبات اللبنانيّات المارونيّات.

١. الأهداف الروحيّة للراهبة اللبنانيّة المارونيّة

الأهداف العامّة لكلّ رهبانيّة ولكلّ راهبة هي السير في طريق الكمال الروحيّ من خلال ممارسة المشورات الإنجيليّة: العفّة، والفقر، والطاعة. ولما كان لكلّ رهبانيّة بالإضافة إلى ذلك طابع خاصّ لروحانيّتها، ولما كانت الراهبات اللبنانيّات المارونيّات يتَّبعن الروحانيّة نفسها التي انطبعت بها الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة منذ تأسيسها، فعلى الراهبات أن يسعَين دائمًا إلى تطبيق ما جاء في القرار المجمعي في "المحبّة الكاملة"، المذكور في مقدّمة قوانينا، والذي يرسم القاعدة الأساسيّة للحياة الرهبانيّة قائلاً: "إنّ القاعدة الأسمى للحياة المكرَّسة هي اتِّباع المسيح، والمحافظة على روح المؤسّسين وعلى تراث المؤسَّسة، وعلى إشراك المؤسَّسات الرهبانيّة في حياة الكنيسة، بحسب موهبة كلٍّ منها وطابعها الخاصّ والمميَّز، والسعي إلى ترقِّي الإنسان وتلبية حاجات الكنيسة، واعتماد التجديد الروحيّ الباطنيّ أساسًا لكلِّ تجديدٍ خارجيّ"[٢].

فالحفاظ على روح التأسيس هو العودة إلى البعد اللاهوتي الذي أراده عبدالله قراعلي ألا وهو، حسب ما جاء على لسان الأباتي الياس خليفه: "الحياة الرهبانيَّة، حسب قراعلي، هي حياة نسكيَّة مركَّزة على محاربة الميول الشرِّيرة التي تُفسد الطبيعة البشريَّة وتُبعِدها عن الله، فعندما ينجح الراهب في استئصال هذه الميول يرجع طبيعته على صورة الله، فيلتقي بالله في عمق ذاته بسلامٍ وطُمأنينة"[٣].

---

[١] قوانين وفرائض رهبانيّة الراهبات اللبنانيات المارونيات (جعيتا ٢٠٠٤)، عبدالله قراعلي، المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني (بيروت ١٩٥٧).

[٢] قوانين وفرائض رهبانيّة الراهبات اللبنانيّات المارونيّات، ص ٥.

[٣] الأباتي الياس خليفه، "روحانية الحياة الرهبانيّة لدى عبدالله قراعلي" في مجموعة محاضرين، اليوبيل المئوي الثالث للرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، تراث ورؤى مُستقبليّة، منشورات معهد التاريخ في جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٩٦، ص ٧٣.

يوصي الأب جرجس موراني، في مقدّمة المصباح الرهبانيّ، بالمحافظة على روح التأسيس قائلاً: "أمّا المحافظة على روحانية المؤسس وإذكاؤها باستمرار في جسم الرهبانية، فهو واجب بنوي على كل راهب ولا سيما الرؤساء. ويؤدى ذلك الواجب بطرق متعدّدة منها هذه، أي نشر تعاليمه بالشكل الواسع الجذاب، ليتسنى درسها وتمثلها، لأبناء الرهبانية كافة، في الحاضر والمستقبل. فيقبلون على تطبيقها في حياتهم العملية، ويكون من ذلك للرهبانية ما يجوز تسميته بروحانيتها الخاصة. ويتحقّق ذلك على وجه أكمل–بل لا يتحقّق على الإطلاق، إلا إذا اقتنع القائمون على توجيه النشء الرهباني، بفائدة التعرف إلى تلك الروحانية وتقديمها إلى طلابهم.

لكن هذا لا يعني ادعاءنا أنّ كل ما ورد في الكتاب لا يزال يناسب أحوال الرهبان في عصرنا الحاضر. فهناك شروح كثيرة لم يبقَ لها سوى قيمتها التاريخية الأثرية، تبعاً للفرائض القانونية التي تدور حولها. إذ أنّ "القانون اللبناني" القديم، أبدل، منذ ابتداء هذا القرن، برسوم جديدة، لا تزال هي أيضاً، حتى اليوم، قيد الدرس والاختبار، لإبدالها عند اللزوم. غير أنّ القسم الأكبر لا يزال مناسباً لأنه يدور على الفضائل الرهبانية الأساسية. وهذه لم تتبدّل والتمييز هو في غاية السهولة بين ما لم يبقَ له سوى القيمة الأثرية وبين ما لا يزال يفيد روحياً ورهبانياً.

هذه هي آمالنا، فعسى ألاّ تخيب ويقبل الكثيرون على مطالعة الكتاب والتعرّف إلى روحانية المؤلف واستقصاء البحث عنها في ما بقي له من آثار!"[٤].

٢. تحديد روحانيّة وهويّة الراهبة اللبنانيّة المارونيّة

إنطلاقًا ممّا سَبَق، إنّ روحانيّة الراهبة اللبنانيّة المارونيّة ترتبط بالروحانيّة النسكية المارونيّة أولاً[٥]، وبالإرث الذي تركه عبدالله قراعلي ثانيًا، وتتجسَّد باتّباع المسيح والشهادة له "كغايةٍ أولى وأخيرة"[٦] لحياتها الرهبانيّة. تشتمل هذه الروحانيّة على حياةٍ "ديريَّة جماعيَّة مُشتركة، تلتزم الحياة في الدير، الذي، انطلاقًا منه، يتمُّ القيام بواجب الخدمة، وفيه تُمارَس الواجبات الرهبانيّة بالكامل"[٧] كوسيلة لتحقيق هدف تكرُّسنا الأوّل في العِماد . ألا وهو المساهمة في بناء ملكوت الله وخدمة الكنيسة.

تستند حياة الراهبات الديريّة على الحياة المشتركة، وحياة الصلاة، والصمت، والهدوء، والممارسات النسكيَّة. لا تتعاطى الرسالة إلاّ عند الحاجة وقدر الإمكان، ضمن نطاق حدود الدير، بشرط أن يكون الدير المرجعيَّة الأولى والأخيرة للراهبة. يجب على العمل الرسولي أن يتلاءم مع ما ينصّ عليه قانون الرهبانيّة، وألاّ يتخطّى الحدّ المسموح

---

[٤] المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني، ص ٦–٧.

[٥] "تتميّز كنيسة الموارنة بروحانيّة نسكيّة ورهبانيّة، انطبعت بها منذ نشأتها، وتشابك تاريخها بمصير الحياة الرهبانيّة التي بقيت بمثابة القلب النابض فيها"؛ الأب الياس خليفه، مجلّة أوراق رهبانيّة، ٤٧ (١٩٩٥)، ص ٨٥–٨٦.

[٦] قوانين وفرائض رهبانيّة الراهبات اللبنانيّات المارونيّات، ق ٤، بند ١.

[٧] المرجع نفسه، ق ٨.

لذلك، وألاّ يغيّر هويّة الرهبانيّة بهدف الانطلاق إلى الرسالة وعدم العودة إلى الدير، لئلاّ يضحي الدير، لا سمح الله، فندقًا تلجأ إليه الراهبة.

خاتمة

الراهبة اللبنانيّة المارونيّة، في تحديدها، هي العائدة دائمًا إلى ذاتها والساعية في طلب المطلق وحده دون سواه. فالصلاة ملازمة للراهبة، وبها وحدها تبقى أمينةً لهويّتها، وبدونها تفقد معنى حياتها، لا بل تعرِّض هذه الحياة للفشل واليأس الذي لم يعرف الفرح يومًا. بقولنا هذا، لا ندّعي أنّ الحياة الرهبانيّة تقوم فقط على الصلاة والعبادة، فالعمل هو الوجه الآخر لحياة الراهبة، وهو، في الواقع، صدىً للصلاة، فيه تشارك الراهبة في عمل الله الخلاصيّ. لكن هنا يكمن التحدِّي: هل ما زلتُ أمينة لدعوتي وروحانيّتي؟

الأخت دولّي شعيا ر.ل.م.
في ٢٠١٥/١٠/١٥